خَشيةُ الله تعالىٰ بالغيب

قال الله تبارك وتعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1].

* * *

اعلم ـ عزيزي القارئ الفاضل ـ أنّك دائماً في كلّ أحـوالِكَ، وأزمانِكَ، وأماكِنكَ بين يدي ربّك العليِّ الأعلىٰ سبحانه وتعالى، وأنّه جلّ جلالُهُ يراك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[2]، يرىٰ ظاهرَك وباطنَكَ، ما تُعلنُ وما تُخفي، فعوّد نفسَك علىٰ الاعتقاد بهذا، ولقّنها هذه العقيدة الصّحيحة حتّىٰ يصبح ما عوّدت نـفسَك عليه ـ بمرور الوقت ـ خُلُقاً راسخاً، وملكةً ثابتةً تنتفع منها انتفاعاً كبيراً جدّاً، بحيث تكون سدّاً، ومانعاً عن الوقوع في المعصية.

واعلم أنّ قدرَكَ ووجاهتَكَ عند الله عـزّوجلَّ إِنّـما تـرتفعان حينما تخشاه تعالىٰ في خلواتِكَ، وتراقبُهُ حـيث لا يـراك غـيرُهُ سبحانه، وإِنّما ينحطّ قدرُكَ، ووجاهتُكَ عنده تبارك وتعالىٰ حينما تغفَلُ عن مراقبتِهِ وتقواه في خلواتك، فتقارفُ الذّنبَ، وتـرتكبُ

(١) سورة الملك، الآية ١٢.

(٢) سورة العلق، الآية ١٤.

المعصيةَ وهو يراك، فتجعلُهُ ـ في هذه الحالة ـ أهـونَ النّـاظرين إِليك، وهو العليّ الأعلىٰ تبارك وتعالىٰ، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَـانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[1].

قال المرحوم الشّيخ الطّبرسي ﷺ في تفسيره (مجمع البيان): ﴿إِنّ الذينَ يخشون ربّهم بالغيب﴾ أي يخافون عذابَ ربِّـهم بـاتّقاءِ معاصيه، وفعل طـاعاتِهِ عـلىٰ وجـهِ الإِسـتسرار [الخـفاء]، لأنّ الخشية متىٰ كانت بالغيب كانت بعيدةً عن الرّياءِ، خالصةً لوجـه الله، وخشية الله بالغيب تنفعُ بأن يستحقّ عليها الثّوابَ، والخشيةُ بالغيب أفضلُ؛ لأنّ أكثر ما تُرتكبُ المعاصي إِنّما تُرتَكَبُ في حالِ الخلوة، ولأنّ من تركها في هذه الحالة ـ الغيب ـ تركها في حال العلانية أيضاً.[2]

قال المرحوم الشّيخ الطّوسي ﷺ في تفسيره (التّبيان) في شرح هذه الآية الكريمة: وكلُّ مَنْ خشيَ ربَّهُ بالغيب خَشِـيَهُ بـالشّهادة [أمام النّاس]، وليس كلُّ مَنْ خشيه بالشّهادةِ يخشاه بالغيب.[3]

قال الشّيخ الطّبرسي ﷺ: ﴿لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿وأجرٌ كـبير﴾ أي عظيم لا فناء له في الآخرة.[4]

---

(١) سورة النّساء، الآية ١.

(٢) مجمع البيان: المجلّد الخامس ص٣٢٩، طبعة المرعشي النجفي ـ قم.

(٣) التّبيان: ج ١٠ ص ٦٤، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٤) مجمع البيان: المجلّد الخامس ص٣٢٩.

واعلم ـ عزيزي القارئ المؤمن ـ أنّ المـراقـبة والخَشـيةَ لله تعالىٰ إنّما تحصل عليهما عندما تعلم علمَ اليـقين بأنّ الله تـعالى مطلعٌ عليك في كلّ حركاتك وسكناتك في ليلك ونهارك في حلّكَ وترحالك، بل هو تعالى مطلعٌ على الضّمائر يعلم ما في السّرائـر المطويّة التي لا يراها النّاس، وإنّـما يـراهـا ربُّ النـاس، وهـي مكشوفةٌ لديه يراها كما هي، ويعرفها على حقيقتها، فـعلى هـذا فكلّ العالَمِ وأهلِهِ شهودٌ بين يدي الله تعالى الذي لا تأخذُهُ سـنةٌ ولا نوم ولا غفلة عن العباد وأعمالهم، ولا يخشاه إلّا العالِمُ بـه، والموقِنُ بأنّه تعالى يراه كما روي عن النّبيّ يوسف على نبيِّنا وآله وعليه أفضلُ الصّلاة والسّلام في حديث الإمام أبي عبدالله الصّادق عليه السلام أنّه قال: «لمّا همّت [زليخا] بيوسف، قامت إلىٰ صنمٍ في بيتها فألقت عليه مُلاءة[1] لها، فقال لها يوسف: ما تعملين؟ فقالت: أُلقي علىٰ هذا الصّنم ثوباً لا يرانا فإنّي أستحي منه، فقال يوسف: أنت تستحينَ من صـنمٍ لا يسـمعُ ولا يُـبصِرُ، ولا أسـتحي أنـا مـن ربّي»؟![2]

ما أعظم هذا الموقف من قِبَل النّبي يوسف عـلى نـبيّنا وآله وعليه السّلام حيث راقب الله تعالى فيتلك اللحظات الحرجة، وما أبلغه من درس لنا جميعاً في الخشيةِ من الله عزّوجلّ، فكان عاقبة

(١) المُلاءة: هي السّاترةُ من ثوبٍ ونحوه.
(٢) بحار الأنوار: ج١٢ ص٢٢٥.

أمره أن نجّاه الله تعالى من كيدِ المرأة، وخلّصَهُ من السّجن وجعلَهُ عزيزَ مصر ومَلِكَها، قال الشّاعر الموالي في هذا المعنىٰ:

راقبْ إلٰهَكَ واخشَ في الخلواتِ وآبشرْ بنيلِكَ أرفعَ الدّرجاتِ

إنّ الذي يخشىٰ الإلهَ لحائزٌ محوَ الذّنوبِ وأفضلَ الحسناتِ

هذا وقد أوصىٰ المرحوم الشّيخ عبدالله المامقاني ﷿ إبنَهُ بمراقبة الله تعالى، والخشية منه؛ لأنّه تعالى مطّلعٌ علىٰ الإنسان في كلّ حالاته وأوقاته فقال:

وعليكَ ـ بُنَيَّ ـ بمراقبةِ نفسِك، وذلك بملاحظة حضور الرّبّ تبارك وتعالى، واطّلاعِهِ عليك في كلّ حالاتِكَ، وحركاتِكَ، وأفعالِكَ، وأقوالِكَ، وأنفاسِكَ، وخطراتِك [ما يمرّ على القلب من الأفكار التي تسمّىٰ الخطورات القلبيّة]، وخطواتِك، ولحظاتِك [لحظاتِ العيون ومشاهداتها]، فآثر ما آثرَهُ اللهُ سبحانه، وآختر ما اختاره اللهُ تعالى.(١)

وقد حُكي أنّ لقمان الحكيم قال لإبنه وهو يَعِظُهُ:

يابُنيَّ إذا راقبتَ اللهَ تعالى لم تقدمْ علىٰ معصيةٍ أبداً؛ لأنّه بمجرّد التفاتِكَ إلىٰ أنّه سبحانه وتعالىٰ يراك ويطّلعُ عليك يمنعُكَ الحياءُ من مخالفتِهِ.(٢)

أقول: ما أعظمَ هذه الفائدة الحاصلة من المراقبة ألا وهي عدم

(١) مرآة الرّشاد: ص٣٢.

(٢) مرآة الرّشاد: ص٣٢.

الإقدام علىٰ المعصية، فإنّ الغفلة عن مراقبة الله تعالى هي السبب في الوقوع بالمعاصي المهلكات، وليت شعري أيوجدُ شيءٌ يُبعدُ الإنسانَ عن الله تعالى ورحمتِهِ وتأييدِهِ مثلُ ارتكاب المعاصي والذنوب، وهذا درس عمليٌ سهلٌ مجرّبٌ للخلاص من مخالفةِ الله تعالى بالخصوص في خلوات الإنسان حيث لا يراه أحدٌ من الخلق.

فلا تغفل ـ عزيزي القارئ الفاضل ـ عن مراقبة الله تعالى في كلّ حالاتك وأوقاتك تنل النجاح والفلاح والتأييد والعون من الله تعالى الفيّاض المنّان.

ومن جميل الحكايات في هذا الباب ما قرأته في كتاب (الفرج بعد الشدّة) للقاضي المحسن بن عليّ التنوخي قال:

حدّثني محمّد بن عبيدة الرّازي المعروف بإبن حمدون قال: كنتُ أحجّ، فأنزل [في الكوفة] علىٰ رجلٍ علويٍّ حسينيٍّ فقيرٍ، فتأخّرت عن الحجّ فيأحدِ الأعوام، ثمّ عاودت الحجّ في العام الذي بعده، فلمّا نزلت عند السيّد الحسينيّ رأيتُهُ وقد تغيّرت حالُهُ، وتحسّنت كثيراً، فلمّا سألتُهُ عن ذلك قال: كان قد اجتمع عندي شيء من المال، ففكّرت بالزّواج، ثمّ علمتُ أنّ فرضَ الحجّ قد تعيَّنَ عليَّ، فرأيتُ أن أقدّم أداءَ الفرض، وأتوكّل علىٰ الله عزّوجلّ في أن يسهّلَ لي ـ بعد ذلك ـ ما أتزوّج به.(١)

(١) انظر ـ عزيزي القارئ الفاضل ـ إلىٰ نيّته الصّالحة حيث قدّم أداء الحجّ الواجب علىٰ الزّواج اتّكالاً علىٰ الله تعالىٰ، هذه واحدة.

فلمّا دخلت مكّة استأجرتُ بيتاً، وضعت فيه رحلي، وما كان معي، فلمّا أردت الخروج إلىٰ منىٰ قفلت الباب، وأخذت المفتاح، وتوجّهت إلىٰ هناك.

وعندما عدتُ، وجدت البيتَ مفتوحاً، وقد سُرقَ كلُّ ما فيه، فتحيّرت، ونزلت بي شدّةٌ ما مرّ بي قطّ مثلُها. فرجعت إلىٰ نفسي وقلت: هذا أعظم للثّواب، فلماذا الغم والحزن؟ فاستسلمتُ لأمر الله عزّوجلّ وجلستُ في البيت لا حيلة لي، ولا تسمحُ نفسي أن أطلب من أحدٍ شيئاً، فبتّ ليلتي ولم آكل فيها شيئاً.

فلمّا [أصبحتُ من يومي التّالي] بدأ فيَّ الضُّعفُ سحراً، وخفت علىٰ نفسي، فتذكّرت قولَ جدّي رسولِ الله صلّى الله عليه وآله: «**ماءُ زمزم لما شُرِبَ له**»، فخرجت أريد ماءَ زمزم، فشربتُ منها، ورجعتُ أريد باب إبراهيم الخليل من الحرم المكّي لأستريحَ فيه، فبينا أنا أسير إذ عثرتُ في الطّريقِ بشيءٍ أوجَعَ إصبَعي، ولمّا حقّقتُ النّظرَ وإذا به هميان(١) أحمر كبير، فأخذتُهُ.

فلمّا حصَلَ في يدي ندمتُ علىٰ أخذِهِ، وقلت في نفسي: هذه لُقَطَةٌ يحرم استعمالها ما لم تُعرّف.(٢)

(١) الهميان: حزام عريض يوضع في باطنه المال، ويُشدّ في وسط جسم الحاج للحفاظ عليه.

(٢) انظر ـ عزيزي القارئ الفاضل ـ إلىٰ مراقبَتِهِ لله تعالى، وكيف توقّف عن استعمال الحرام رغم حاجَتِهِ، ولَمْ يشاهدهُ أحدٌ من الخلق، هذه ثانية.

وقلت: إن تركتُهُ الآن كنتُ أنا المضيِّعُ له، وقد وجب عليَّ أن أعرّفَهُ، ولعلَّ صاحبَ الهميان إذا عاد إليه أن يعطيني شيئاً من المال الحلال أتقوّىٰ به، وأنجو ممّا أنا فيه، فجئتُ إلىٰ بيتي وفتحت الهميان، فرأيتُ فيه دنانيرَ صفراءَ تزيدُ علىٰ ألفي دينار!!

فأغلقتُ الهميان، وعدت إلى المسجد الحرام وأخذتُ أنادي: مَن ضاعَ له شيءٌ، فيأتيني بعلامتِهِ ويأخُذُهُ.

فانقضىٰ يومي، وأنا أنادي، وما جاءني أحد، فعدت إلىٰ البيت وأنا علىٰ حالي من الجوع والضّعف، وبتّ ليلتي.

وفي صباح اليوم التالي عدتُ إلىٰ الصّفا والمروة، فعرّفتُهُ ورفعت صوتي بذلك حتّىٰ كاد ينقضي اليوم، ولم يأتني أحد.

فلمّا قرب وقتُ المغرب إذا أنا برجل خراساني يُنشِدُ [يطلُبُ] ضالّةً، فقلت له: صف لي ما ضاع منك، فأعطاني صفة الهميان بعينه، وذكر وزن الدنانير وعددها.

فقلتُ له: إن أرشدتك إلىٰ مَن يَردُّهُ عليك تعطيني منه مائة (١٠٠) دينار؟ قال: لا.

قلت: فخمسين (٥٠) ديناراً؟ قال: لا.

قلت: فعشرة (١٠) دنانير؟ قال: لا.

فلم أزل أنزل معه حتّىٰ بلغت إلىٰ دينار واحد، فقال: لا، إن رأىٰ مَن عنده الهميان أنْ يردّه إيماناً واحتساباً، وإلّا فهو أبصر بما يفعل. ثمّ قام لينصرف، فداخلني من ذلك أمرٌ عظيم، وهَمَمْتُ

بالسّكوت، ثمّ خفتُ الله سبحانه[١] وتعالىٰ، وأشفقتُ أن يـفوتني الخراساني، فصحتُ به: إرجع، إرجع، وأخرجت الهميان ودفـعتُهُ إليه، فأخذه ومضىٰ.

فما غاب عنّي طويلاً حتّىٰ عاد فقال لي: من أيِّ البلاد أنت ومن أيِّ النّاس؟ فقلت له: ما عليك منّي هل بقي لك عندي شيء؟ قال: لا، ولكنّي أسألُكَ باللهِ العظيم إلّا ما أجبتني من أيِّ النّـاسِ والبلاد أنت؟ قلت: رجل عربيٌّ من أهلِ الكوفة. قال: من أيِّ أهل الكوفة أنت؟ قلت: رجل من ولد الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب [عليهم الصّلاة والسّلام]. فقال: ما حالُك وما تملك؟

قلت: لا أملك إلّا ما تراه عيناك، ثمّ قصصتُ عليه ما جـرىٰ لي، وما أمرُّ به من محنةٍ وابتلاء، وما قد انتهيتُ إليه من الضُّعفِ والجوع. قال: أريد أحداً يعرّفني صحّةَ نسبِكَ حتّىٰ أقوم بأمـرِك كلِّه.

قلت: أمّا أنا فلا أقدرُ علىٰ المشي للضُّعف الذي نابني، ولكن اذهب إلىٰ الكعبة وناد بالكوفيين وقل: رجلٌ مـن بـلدكم عـلويّ بباب إبراهيم، يريدُ أن يجيئَهُ منكم جماعةٌ لحالٍ هو فيها.

فغاب غير بعيد، ثمّ جاء ومعَهُ من الكوفيين جماعة يعرفوني ويعرفون حالي ونسبي.

(١) انظر ـ عزيزي القارئ الفاضل ـ إلىٰ إيمانِهِ بالله تعالىٰ، وخوفِهِ مـنه الذي سـيؤدّي بـه إلىٰ الخلاص والفرج علىٰ أحسن الوجوه، هذه ثالثة.

فلمّا قربوا منّي قالوا: ما تريد أيّها الشّريف[١].

فقلت: هذا رجلٌ يريدُ أن يعرف حالي ونسبي لشيءٍ بيني وبينَهُ، فعرِّفوهُ ما تعرفونَ من ذلك.

قال: فعرّفوهُ صحّةَ نسبي، ووصفوا له طريقتي وفقري.

فمضىٰ الرّجل الخراساني، ثمّ عاد ومعه الهميانُ بعينِهِ كما سلّمتُهُ إليه وقال: خذ هذا بأسرِهِ باركَ اللهُ لك فيه!!

فقلت له: ياهذا ما كفاكَ الذي عاملتني به، حتّىٰ صرت تهزأُ بي، وأنا في هذا الحال من الضّعف. فقال: معاذَ اللهِ، هو لك والله.

فقلت: فلِمَ بَخِلْتَ عليَّ بدينارٍ منه، ثمّ وهبتَ لي الجميع؟!

فقال: ليس الهميان لي، وما كان يجوز لي أن أعطيك منه شيئاً، قلّ أو كثر، وإنّما أعطاني هذا الهميان رجلٌ من خراسان، وطلب منّي أن أجد في العراق أو الحجاز رجلاً علويّاً، حسينيّاً، فقيراً، مستوراً، فإذا علمتُ هذا من حالِهِ أغنيتُهُ، بأن أسلّمَ إليه هذا المال كلّه ليصبح غنيّاً، فلم أرَ أحداً قبلَكَ يجمع هذه الصّفات، فلمّا رأيتُكَ وقد اجتمعت فيك الصّفات بما شاهدتُهُ من أمانتِكَ، وفقرِكَ، وعفّتِكَ، وصبرِكَ، وصحّ عندي نسبُكَ، سلّمتُك المالَ كلّه.[٢]

قال الشّاعر:

اصبر قليلاً فبعد العسرِ تيسيرُ وكلُّ أمرٍ له وقتٌ وتدبيرُ

---

(١) الشّريف: تعبيرٌ [لقبٌ] يطلق علىٰ من كان من السّلالةِ النبويّة /من الحاشية.

(٢) الفرج بعد الشدّة، للقاضي التّنوخي: ج٣ص٢٨٧، طبعة دار صادر ـ بيروت.

وللـمُهيمِنِ فـي حـالاتِنا نـظرٌ   وفـوق تـدبيرنا للهِ تـدبيرُ

أقول: لا أدري أيّهما أعجبُ من الآخر، أهو الرّجل الحسيني الذي خاف الله تعالى، ولم يتناول الحرام خشية منه سبحانه حتّىٰ نظر اللهُ تعالى إليه ودبّره بأحسن تدبيره، أم الرّجل الخراساني المؤتمَنُ حيث لم يفرّط في إيصال الأمانة إلىٰ أهلها حتّىٰ دقّقَ وحقّق، وتيقّن وتثبّت، وهكذا ينبغي أن يصنع كلّ حاملِ أمانة ماديّة كانت أو معنويّة، رآه النّاس أو لم يروه، عرفوا به أو لم يعرفوا به، فإنّ عيوناً من الله تعالى ناظرةٌ إليه.

ومَن أراد قدوةً ليقتدي به في خشية الله تعالى، والعملِ قربة لوجهِهِ الكريم، فذاك الإمامُ أبو عبدالله الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، فاسمعه حيث يناجي ربّه تعالىٰ في أصعب اللحظات:

تـركت الخـلق طُـرّاً فـي هـواكـا   وأيـتمتُ العـيالَ لكـي أراكـا
فـلو قـطّعتني بـالحُبِّ إرْبـاً   لمـا مـالَ الفـؤادُ إلىٰ سـواكـا

قال السيّد ابن طاووس رحمه الله في (اللهوف): فوقف عليه السلام يستريح ساعة وقد ضعُف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاهُ حجرٌ فوقع علىٰ جبهتِهِ، فأخذ الثّوب ليمسح الدّمَ عن جبهتِهِ، فأتاهُ سهمٌ مسمومٌ له ثلاثُ شعب فوقع علىٰ قلبِهِ فقال عليه السلام: «**بسمِ اللهِ وباللهِ وعلى ملّةِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله**»[(١)]:

نعي

أوچب يستريح حسين ساعَهْ   ضعف حيله اوبهض بالسيف باعه

(١) اللهوف أو الملهوف: ص١٧٢.

رن الحجر مـن وجـهه ابشـعاعه　　او دمـه مـثل مـاي العـين فـوّر

* * *

شـال حسـين ثـوبه يـمسح الدم　　اولن سهم المـحدّد نـاجع ابسـم
ابگـلبه وگـع مـا وخّـر او جـدّم　　هوه واظلم هواهه والسـمه احـمر

* * *

نعي

مـصيبه الذي مـا تـنگال صـعبه　　بجسم احسين حربه بأثـر حـربه
اويـلي والمـثلث صـاب گـلبه　　او غده من دم ابو السجاد شـربه

* * *

أبوذيه

لولاك الفـرض يـحسين مـا تـم　　وحگ گلبك المـنه ثـلث مـا تـم
إلك بگـلوبنه مـنصوب مـاتم　　الذكـرك يـا غـريب الغـاضريه

* * *

طور التخميس

تـبكيك عـيني لا لأجـلِ مثوبةٍ　　لكـنّما عـيني لأجـلكَ بـاكـيه
تـبتلّ مـنكم كـربلا بـدمٍ ولا　　تـبتلّ مـنّي بـالدّموعِ الجـاريه
أنست رزيّـتكم رزايـانا التـي　　سـلفت وهـوّنت الرّزايـا الآتـيه
وفـجائع الأيّـامِ تـبقىٰ مـدّةً　　وتـزول وهـي إلىٰ القـيامةِ بـاقيه[١]

---

(١) من قصيدة عصماء للمرحوم الشّيخ محمّد علي الأعسم ﷺ.